وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ــ ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

بلاغة المتشابه اللفظي وأثره في تحديد الدلالة

ــ قصة سيِّدنا عيسى عليه السلام أنموذجا ــ

مذكرة تخرج استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص اللسانيات العربية

إعداد الطالبتين:

خضرة بوشندوقة

منال قرميط

إشراف الأستاذ:

د. محمد محمود بن ساسي

السنة الجامعية: 2020م ــ 2021م / 1442ه ــ 1443ه

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ــ ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

بلاغة المتشابه اللفظي وأثره في تحديد الدلالة

ــ قصة سيِّدنا عيسى عليه السلام أنموذجا ــ

مذكرة تخرج استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص اللسانيات العربية

إعداد الطالبتين:

خضرة بوشندوقة

منال قرميط

إشراف الأستاذ:

د. محمد محمود بن ساسي

السنة الجامعية: 2020م ــ 2021م / 1442ه ــ 1443ه

شكر و عرفان

الحمد لله القوي المتين، الغني عن العالمين، الذي لا تضره معصية لعاصين ولا تنفعه توبة التائبين، والصلاة والسلام على المصطفى لأمين سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، أمَّا بَعْدُ: تيمُّنا بقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: "من لا يشكر لناس لا يشكر الله" نتقدَّم بتحية شكر وامتنان لأستاذنا ومشرفنا على بحثنا: " محمد محمود بن ساسي " الذي ذلَّل لنا صعوباتِ البحث بفضل آرائه الحكيمة وتوجيهاته السديدة، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيه عنَّا كل خير.

مـقـدمـة

مقدمة:

الحمد لله العلي القدير، الذي منحنا العقل للتدبُّر والتفكير، ومنح لنا العلم سبيل للرقي والتدبير، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى سيّدنا وقرة أعيننا إلى يوم الدين وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بَعْدُ:

القرآن دستور محكم جعله الله لنا لنستمد منه قوانين الدين والدنيا، وهو الذي يتصدَّر مصادر التشريع الإسلامي، الذي أعجز أهل البلاغة والفصاحة؛ لتميُّزه بروعة النظم وجودة التأليف والسبك، فمن إعجازه البلاغي تضمُّنه المتشابه اللفظي، هذا العلم الذي يمثِّل ظاهرة أسلوبية مميَّزة، وكان أكثر وروده في القصص القرآني، وهو من العلوم التي تتطلَّب الدراسة والاطِّلاع على أسرارها من خلال الكشف عن مختلف دلالاته وبيان جماليات التعبير القرآني عند الإخبار عن الأمر أو النبأ الواحد؛ نظرا لهذه القيمة التي يكتسيها ارتأينا أن يكون موضوعا لبحثنا، فكان عنوانه: **"بلاغة المتشابه اللفظي وأثره في تحديد الدلالة"** واخترنا قصة سيّدنا عيسى عليه السلام مدونة لبحثنا؛ ذلك لعدم تناولها بالدراسة والتحليل دراسةً شاملةً مسبقا، من هنا أردنا لفت الأنظار إلى المتشابه اللفظي الواقع في قصة سيّدنا عيسى عليه السلام, ولدراسة هذا الموضوع نطرح الإشكالية التالية:

ما أثر المتشابه اللفظي في المعنى في قصة سيّدنا عيسى عليه السلام؟

بالإضافة إلى بعض الإشكالات الفرعية التي يمكن إيجازها فيما يلي:

أ- فيمَ تتجلَّى أهمية المتشابه اللفظي؟ وما فائدته؟
ب- ما أسباب نزول المتشابه اللفظي؟ وما الحكمة من ذلك؟
ج- ما الآيات المتضمِّنة للمتشابه اللفظي في قصة سيّدنا عيسى عليه السلام؟

وقد قمنا باختيار هذا الموضوع لأسباب محددة تجلت في الآتي:

أ- رغبتنا في البحث في مجال علوم القرآن؛ كون القرآن الكريم من أجمل المدونات للدراسة.
ب- عمومية الدراسات التي تخص هذا الموضوع، واحتياجها إلى توضيح؛ كونها كانت إشارات دون تحليل.
ت- عدم وجود دراسات مفصَّلة لموضوع المتشابه اللفظي في قصة سيّدنا عيسى عليه السلام
ث- تشوُّقنا لدراسة أسلوب القرآن الكريم.

كما أننا أردنا تحقيق أهداف معينة من خلال هذا البحث, وهي كالتالي:

أ- معرفة كلِّ التفاصيل الخاصة بالمتشابه اللفظي، وكذا آثره في تحديد الدلالة، والتعرُّف على الآيات المتضمنة له في قصة سيِّدنا عيسى عليه السلام.
ب- الكشف عن سرِّ وقوع المتشابه اللفظي بتلك الطرق والأساليب.
ت- المساهمة في توفير المعلومات الخاصَّة بهذا الموضوع، حتى يستفاد منها.

ولنباشر في هذا البحث رسمنا طريقا للسير عليه ووضعنا هذه الخطة المحكمة لإنجازه بداية بمقدمة عن الموضوع, وتمهيدا عام حوله تحدثنا فيه عن علوم القرآن, ومبحثين كان الأول منهما معنون بماهية المتشابه اللفظي وجعلنا فيه ثلاثة مطالب, الأول خصصناه للمفاهيم الأولية والثاني لأهمية المتشابه اللفظي وفائدته, أما الثالث فكان لأسباب نزول المتشابه اللفظي والحكمة من ذلك, وخصصنا المبحث الثاني للجانب التطبيقي وعنوناه بدلالة المتشابه اللفظي في قصة سيدنا عيسى في القرآن الكريم, وتضمن هذا المبحث مطلبين, الأول بعنوان المتشابه اللفظي في القصص القرآني' أما الثاني فكان معنون بالمتشابه اللفظي بلاغة ودلالة في قصة سيدنا عيسى عليه السلام, وأنهيناه بخاتمة تشمل أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

ولضمان حسن سير هذا البحث اعتمدنا المنهج الوصفي الاستقرائي القائم على التحليل كإجراء عملي وتطبقي وذلك للوقوف على المتشابه اللفظي وتتبع مواضعه ودراستها.

و الجدير بنا أن نذكر أننا اطلعنا على بعض الدراسات السابقة التي وقعت بين أيدينا منها:

أ- المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية، صالح عبد الله محمد الشتري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، تخصص البلاغة، إشراف: محمد أبو موسى جامعة أم القرى، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1421ه، 2001م.
ب- بلاغة المتشابهات اللفظية في القصة القرآنية (قصة إبليس أنموذجا) ، محمد شيباني رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، تخصص البلاغة والأسلوبية إشراف: أحمد حاجي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة – الجزائر، 2018م – 2019م.
ت- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه, محمد بن راشد البركة, رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه, إشراف: سليمان بن إبراهيم اللاحم, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, الرياض – المملكة العربية السعودية.

الفرق بين هذه الدراسات ودراستنا الاختلاف في المدوَّنة؛ كوننا اتَّخذنا قصة سيِّدنا عيسى عليه السلام مدونة لبحثنا، ودرسنا جل مواضع وروده دراسةً تفصيليةً، في حين أنَّ الدراسات الأخرى كانت عامَّة للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ومنهم من فصَّل وحلَّل

مواضع التشابه اللفظي، كرسالتي الباحثين صالح عبد الله محمد الشتري ومحمد شيباني إلا أنَّ محمد بن راشد البركة أشار لبعض المواضع دون تفصيل، أمَّا عن مدونتنا في رسائلهم فكانت قليلة الذكر في موضع أو موضعين.

وقد ركزنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي كانت زادنا في إنجاز هذا البحث, كالكشاف للزمخشري, وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور, كونهما من الكتب القيمة في التفسير, كما استعنا بالكتب التي أوردت المتشابه اللفظي في متنها كدرة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي, وملاك التأويل للغرناطي, بالإضافة إلى عدد من المراجع الأخرى نذكر منها البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني, وكشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة وغيرها.

ممَّا لا شك فيه أنَّ أيَّ بحث علمي لا يخلو من الصعوبات والعوائق ، إلا أنَّه لم يواجهنا منها الكثير سوى افتقارنا إلى الخبرة الكافية لخوض غمار بحث في هذا النوع من المواضيع؛ كونه يحتاج إلى أهل الاختصاص، كما أنَّ تصفُّحنا بعض مواضع المتشابه اللفظي في قصة سيِّدنا عيسى عليه السلام مبني على الاجتهاد، فلم نعثر عليها في الكتب التي تحدَّثت عن المتشابه اللفظي، وزيادة على ذلك مشقة البحث في الكتب الإلكترونية لعدم توفُّرها لدينا ورقيا.

في الأخير لا ننسى أن نقدِّم جزيل الشكر لأستاذنا الفاضل **"محمد محمود بن ساسي"** الذي ساعدنا كثيرا بتوجيهاته ونصائحه ، راجين المولى عزَّ وجلَّ أن يجعلها في ميزان حسناته كما لا يفوتنا أن نشكر كل من أعاننا وأسهم في هذا البحث بكل كبيرة وصغيرة من أساتذة وطلبة.

19أفريل2021- الموافق: 07 رمضان 1442ه

بتوقيت: 14:30 ورقلة

خضرة بوشندوقة – منال قرميط

تـمـهيـد

تزامن ظهور علوم القرآن مع مجيء الإسلام والقرآن، وكان ذلك في عهد النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، لكنَّها لم تكن تكتب و تدوَّن، واتَّسمت بالقلة والبساطة، وبعد وفاة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم خاف الصحابة من ضياع ما عرفوه من النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من تفاسير وشروحات؛ لذلك أضحت علوم القرآن محمل اهتمامهم لما لها من أهمية في الحفاظ على القرآن الكريم وكذا فهمه، وإدراك حكمه، فأخذت بذلك تنتشر انتشارا واسعا.

مع ظهور التدوين أضحت تلك العلوم تدوَّن في الكتب، وأخذت في التطوُّر حتى تعدَّدت تصنيفاتها وأقسامها، فهي كل العلوم التي لها علاقة بالقرآن الكريم، وإذا جئنا إلى تصنيفها ألفينا عددا كبيرا من العلوم يتَّصل اتِّصالا وثيقا بالقرآن الكريم ومنها:

-علم نزول القرآن, علم الرسم القرآني, علم أسباب النزول, علم المكي والمدني, علم خصائص القرآن.

هناك صنف آخر يتعلَّق بالقرآن الكريم من حيث لغتُه، وأسلوبُه، وبلاغتُه، منها:

علم أساليب القرآن, علم إعراب القرآن, علم غريب القرآن, علم معاني القرآن.

يُضاف إلى ذلك صنف آخر يرتبط بعلوم القرآن التي تتشارك مع علوم أخرى وتتداخل معها تداخلا كبيرا، كالفقه والشريعة، ومن بينها:

- علم الأحكام, علم الناسخ والمنسوخ, علم المطلق والمقيَّد, علم المحكمات والمتشابهات.

ستختص دراستنا بعلم المتشابه اللفظي الذي هو علم من علوم القرآن.

المبحث الأول

ماهية المتشابه اللفظي

المطلب الأول: مفاهيم أولية

أولا: المتشابه اللفظي

القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى المعجِز بألفاظه، ومعانية، وما اشتمل عليه من أمور، ومن هنا كان القرآن جامعا لفنون البلاغة، حاويا لأطراف البيان والفصاحة محكما في نظمه، وقد اتَّسم القرآن الكريم بعديد الأساليب التي تكاملت فيما بينها لتشَّكل لنا فسيفساء من المعنى، ولعلَّ أحد أهم الخصائص المتشابه اللفظي، وحينما أردنا البحث عن معناه ألفينا أنَّه مركَّب مكوَّن من كلمتين (المتشابه واللفظ) ، ممَّا يتوجَّب تعريف كل واحد منهما.

1- المتشابه: أ- لغة:

جاء في أساس البلاغة: «ما له شِبْهٌ وشَبَهٌ، وشَبِيهٌ، وقد أَشْبَهَ أباه وشَابَهَهُ، وما أَشْبَهَهُ بأبيه. وفي الحديث :"اللبن يشبه عليه". وتَشَابَه الشيئان واشْتَبَهَا وشَبَّهْته به، وشَبَّهْتُه إيَّاه، واشْتَبَهَتِ الأمور وتَشَابَهَت: التبست لإشْبَاه بعضها بعضا، وفي القرآن المحكم والمتشابه، وشُبِّه عليه الأمر: لُبِسَ عليه، وإيَّاك والمُشَبَّهَات: الأمور المشكلات ».[1]

الملاحظ من التعريف أنَّ التشابه في اللغة يقصد به الالتباس والمشاكلة.

ب- اصطلاحا:

ذكر ابن المناوي **(ت1031ه)** أنَّ المتشابه هو «المُشْكِل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمُّل».[2]

2- اللفظ: أ- لغة:

ذكر ابن منظور **(ت711ه)** أنَّ «لَفَظَ الشيء يَلْفِظُ لَفْظًا، فهو مَلْفُوظٌ، اللَّفْظَ: أن ترمي بشيء كان في فيك، والفعل "لَفَظَ الشيء"، ويُقال: لَفَظْت الشيء من فمي أَلْفِظُه لَفْظًا: رميته، وذلك الشيء لُفَاظَةٌ، والدنيا تَلْفِظُ بمن فيها إلى الآخرة: ترمي بهم».[3]

ب- اصطلاحا

---

[1]. أساس البلاغة، الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1 ، 1419ه، 1998م، ج01، مادة (ش . ب . ه)، ص:493.

[2]. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي، تح: عبد الحميد صالح الحمدان، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر ط1، 1410ه،1990م، ص:295.

[3]. لسان العرب، ابن منظور ، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم), تح: عامر أحمد حيدر, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان, ط1, 1424هـ, مادة (ل . ف . ظ)، ص:520.

جاء في معجم التعريفات: «هو ما يتلفَّظ به الإنسان، أو في حكمه، مهملا كان أو مستعملا»[1]، أي هو إخراج الحروف من مخارجها والتأليف بينها تأليفا يعطي فائدة للمتلقي يحسن السكوت عليها، مع أنَّ تلك المخرجات من الذهن لا بدَّ أن تتوافق بما في العقل، فقد قال الجرجاني **(ت471ه)**: «إنَّ الكلم يترتَّب في النطق بسبب ترتُّب معانيه في النفس».[2]

أمَّا المتشابه اللفظي فهو الكلمات أو العبارات المتشابهة في اللفظ، مختلفة الأساليب الواردة في آي القصص القرآني، وتكراره في القرآن الكريم هو سمة مميِّزة لها، فقد عرَّفه ابن جماعة **(ت733ه)** بقوله: «هو أن يتكرر مجيء الآيات في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى وأساليب متنوِّعة، مع اتِّحاد المعنى لغرض بلاغي».[3]

الزركشي **(ت794ه):** «هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل

مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرُّف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك: مبتدأ به ومتكرِّرا».[4]

ورد المتشابه اللفظي في القرآن الكريم في مواضع عديدة على صور مختلفة، منها ما ذكره الزركشي**(ت794ه)** في البرهان:[5]

أن يكون المتشابه اللفظي موضعا على نظم معيَّن، وفي آخر على عكسه, أن يكون بالزيادة والنقصان, التقديم والتأخير, التعريف والتنكير, الجمع والإفراد, استبدال حرف بحرف, استبدال كلمة بكلمة أخرى.

ثانيا: القصص القرآني

القصص القرآني هو أحد أهم الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم, والقصص في اللغة مأخوذ من مادة (ق . ص . ص), فـ «القَصُّ: تتبُّع الأثر، يُقال: قَصَصْتُ أثره والقَصَصُ: الأثر، والقَصَصُ: الأخبار المُتَتَبَّعة».[1]

---

1. التعريفات، الجرجاني (علي بن محمد)، تح: محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة،القاهرة – مصر، د ط، د ت، ص:161.
2. دلائل الإعجاز، الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة – مصر، ومطبعة المدني، القاهرة – مصر، د ط، د ت، ص:56.
3. كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة، تح: عبد الجواد خلف، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي – باكستان، ط1 ، 1410ه،1990م، ص:45.
4. البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة – مصر، د ط،1276ه،1957م، ج01، ص:112، ويُنظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، تح:أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1 ، 1408ه،1988م ج01، ص:66.
5. يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ج01، ص:113 إلى132.

عرَّف عبد الكريم الخطيب القصص القرآني في الاصطلاح أنَّه: «عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن، فهو وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق، فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص من أحداث، وأمكنة، وأزمنة».[2]

الجدير بالذكر أنَّ القصص القرآني اتَّسم بدقة التصوير، والإصابة في الوصف وكذلك الاختصار، وبعد عن التوغُّل في التفاصيل الدقيقة، فقد كان يورد جانبا من القصة الذي يحمل العبرة والفائدة حتى يستفيد منها أولو الألباب، بعكس الإسرائيليات.*

المطلب الثاني: أهمية المتشابه اللفظي وفوائده

أولا: أهمية المتشابه اللفظي

سبق أن عرَّفنا المتشابه اللفظي وذكرنا صوره، وبذلك استطعنا أن نستخلص أهميته البالغة التي تتضح من خلال بعض الأمور التي سنفصِّل فيها فيما يأتي:

- وجدنا علم المتشابه اللفظي علمًا شريف ونبيلا، وهذا راجع لتعلُّق موضوعه بآيات القرآن الكريم المتشابهة منها؛ ليكتشف عللها وأحكامها.
- العلاقة التي تجمع المتشابه اللفظي بعدد من العلوم الأخرى هي علاقة ارتباط وثيق وهذا إذا دلَّ على شيء إنَّما يدل على تشعُّب علم المتشابه وتفرُّعه، فرأينا أنَّه متصل بعلم القراءات، وعلم التفسير، وعلم إعجاز القرآن الكريم، وعلم البلاغة.
- إنَّ التمعُّن في الآيات المتشابهة والتأمُّل فيها يؤدِّينا إلى التدبُّر في القرآن الكريم، وفهمه واستنباط العبر منه.
- تمنح دراسة المتشابه اللفظي فرصة كبيرة للاطِّلاع على المجهودات التي بذلها العلماء في سبيله؛ من خلال العودة إلى كتب التفسير، وعلوم القرآن، والبلاغة.
- إبطال آراء المخطِّئين والمشكِّكين لما تشابه من آيات القرآن الكريم وإثبات عكس ذلك.

ثانيا: فوائد المتشابه اللفظي

للمتشابه اللفظي فوائد عديدة نذكر منها:

- العلم بالمتشابه اللفظي فيه إعانة للحفَّاظ؛ كون القرآن الكريم ذا قصص فيه تكرار وترداد

---

[1]. الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق – سورية، والدار الشَّاميَّة،بيروت - لبنان، ط4، 1430ه،2009م، مادة (ق . ص . ص)، ص:671.

[2]. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف)، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط2، 1395ه،1975م، ص:39.

*هي مرويات أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهي مجموعة من القصص التي روتها التوراة والإنجيل، يُنظر: علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم،دمشق – سورية، ط1 ، 1422ه،2001م، ص:45.

للأنباء، وأخبار من سلف من الأنبياء والمهلكين الأشقياء، فيجيء في موضع على تركيب معيَّن وفي آخر يغايره بتقديم أو تأخير، وزيادة أو حذف، فاستحب العلماء جمع حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط.[1]

- الغرض من تكرار الآي هو تأكيد البيان والحجة كما أنَّ فيه كناية عند الاكتناء والتصريح للحاجة.[2]

- إعادة القصة الواحدة مع تغاير ألفاظها، أو تراكيبها، ما هو إلا وجه من وجوه فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وضرب من ضروب التحدي، وبيان عجز المشركين المعاندين عن الإتيان بسورة من سوره.

- في القصص القرآني إخبار لما فيه بلاغ وزيادة في قوة الإيمان لأهل الإيمان، كما أنَّ فيه اعتبارًا لأولي الأبصار، والمعلوم أنَّه من سنن العرب إذا اعتنت بأمر كرَّرته وأعادته لذلك جاء ترداد أنباء الرسل وأممها، وغير ذلك من القصص المعادة في صورها مقولا بحسب ما فطر الله عليه العرب.[3]

- «أنَّه يوجب المشقة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب».[4]

- ذكر الآية بطرق مغايرة بغية تثبيتها وحفظها في الصدور.

المطلب الثالث: أسباب نزول المتشابه اللفظي والحكمة منه

أولا: أسباب نزول المتشابه اللفظي

ما خلق الله من شيء إلا لأسباب، وما أنزل أمرا إلا لغايات محددة، مما يستدعي ذكر أسباب نزول المتشابه اللفظي، وعليه نجمل ذكرها في:

- «عبَّر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار».[5]

- المغايرة بين اللفظين؛ لأنَّ القرآن الحكيم إن اشتمل على النقل من أسلوب إلى آخر لأنه يشتمل مع ذلك على فائدة وحكمة.[6]

ذكر ابن قتيبة **(ت267ه)** عدة أسباب منها:

---

[1]. ينظر: متشابه القرآن العظيم، ابن أبي داود المنادي (أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله)، تح: عبد الله محمد الغنيمان، مكتبة لينة،دمنهور – مصر، د ط،1414ه،1993م، ص:59.

[2]. ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]. ينظر: المرجع نفسه، ص:229-232.

[4]. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض – المملكة العربية السعودية، د ط،1387ه،1967م، ج03, ص:32.

[5]. البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ج01، ص:87.

[6]. ينظر: المرجع نفسه، ص:124.

نزل القرآن بألفاظ العرب الفصيحة ومعانيها المختلفة، ومذاهبها، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللَّقِنُ؛ ولو كان كله ظاهرا مكشوفا لاستوى في معرفته العالم والجاهل مما يبطل التفاضل بين الناس, كما أن علم المتشابه اللفظي من علوم القرآن مثله كسائر العلوم فيه الواضح الجلي وفيه ما يحتاج إلى التدقيق والبحث، لنرتقي فيه المتعلم رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منها منهاه ويدرك أقصاه ومن هنا يكون للعالم فضيلة النظر وحسن الاستخراج، وتقع المثوبة من الله على حسن العناية.[1]

ثانيا: الحكمة من المتشابه اللفظي

إنَّ لوجود المتشابه اللفظي في القرآن الكريم حكمًا عديدةً من بينها:

- ذكر الآية أكثر من مرة في القرآن دلالة على التعظيم والتأكيد، كما أنَّه يكون للموعظة لأنَّ القصص القرآني كله عبر وحكم يستفيد منها الإنسان في حياته.
- كذلك من أهم أسباب نزول المتشابه اللفظي هو الإخبار عن الأحداث السابقة وأحوال الأمم الغابرة.
- من طبيعة الإنسان النسيان، وهذه الصفة جزء لا يتجزأ منه، فهو يحتاج إلى التذكير كي لا ينس، فالتذكير أيضا حكمه مهمة وراء نزوله، لقول ابن الحصَّار: «قد يتكرَّر نزول الآية تذكيرا وموعظة».[2]
- حث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه، فإنَّ استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب. ومعها ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات؛ إذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج إلى تأويل ونظر؛ لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره.[3]
- يذكر الزركشي قولا للقاضي الجرجاني: «في إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدِّي معنى واحدا، وذلك من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتقوى البلاغة، ولهذا أعيدت كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة على ترتيبات متفاوتة؛ تنبيها بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً ومكرَّرًا».[4]
- في المتشابه اللفظي دعوة للتدبُّر في القرآن؛ ممَّا ينجم عنه استقرار للمعنى في النفس والعقل.

---

[1]. ينظر تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، تح: السيّد أحمد صقر،مكتبة دار التراث القاهرة - مصر، ط2 ، 1393ه،1973م، ص:87-86.

[2]. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي،ج01، ص:102.
[3]. ينظر المرجع نفسه،ج03، ص:30-31.
[4]. البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ج,1ص:56.

المبحث الثاني

دلالة المتشابه اللفظي في قصة سيدنا عيسى في القرآن الكريم

المطلب الأول: المتشابه اللفظي في القصص القرآني

أولا: قوة التعبير

إنَّ اللغة العربية أوسع اللغات الساميَّة، فهي لغة متشعبة تشمل عدة علوم: من صرف ونحو، وعروض وبلاغة، هذه الأخيرة التي أساسها الدقة والإيجاز، وتتفرَّع إلى ثلاثة علوم: علم المعاني وعلم البيان، وعلم البديع، والقرآن الكريم أسمى النصوص بلاغة، وهذا يظهر في أساليبه المختلفة التي من بينها المتشابه اللفظي الذي يمثِّل وجها من وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم المتمثلة في قوة التعبير، وجماله، وما يتركه من أثر في النفس.

ثانيا: العناية والتأكيد

يقول ابن أبي داوود المنادي: «أمَّا ترداد أنباء الرسل وأممها وغير ذلك من القصص المعادة في سورها فمقول بحسب ما فطر الله عليه العرب، من ذلك إبدال بعض كلامها ببعض وزيادة بعضها في الشرح على بعض، أوائل ذلك كله إلى معنى واحد، على أنَّها وإن نسبت إلى ذلك، لاتِّساع لسانها، وتحسين كلامها، وكان الإيجاز أغلب عليها فلغيرها من ذوي الألسنة المنزل عليها الكتب الوقفية في التكرار المختلفةِ ألفاظُه والمتفقة مع زيادة والبسط في الشرح أكثر ممَّا لها».[1]

الملاحظ في كلام العرب أنها إذا كررت وأعادت كلاما لا لشيء إلا للتأكيد ،غير أن هذا التكرار لا يكون حرفيا بل فيه شيء من التغيير مع المحافظة على المعنى الأصلي أو المعنى العام للكلام الأول ،وأنَّها إذا قدمت أو أخرت في الكلام فهي للاهتمام والعناية بالمقدم.

ثالثا: دقة التصوير

ممَّا لا شك فيه أنَّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب الفصحى الخالية من اللحن، بالسليقة والفطرة لقوله تعالى:﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ (الشعراء / 195) ، وجاء على أساليب العرب ومذاهبها، ونجد ذلك في علم المتشابه اللفظي، هذا الفن البليغ الذي يعكس الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من خلال قوة تصوير الشخصيات، والأمكنة وتفاصيل الأحداث، إضافة إلى تماسكها وتسلسلها لوضوح مقاصدها وغاياتها.

في إعادة القصة الواحدة بصور وأساليب مختلفة مع الحفاظ على المعنى أمر جلل يمثِّل ذروة الفصاحة وقوة البلاغة، فهو لم يخرج عن فصاحة العرب، بل كان أفصح منها.

المطلب الثاني: المتشابه اللفظي بلاغة ودلالة في قصة سيِّدنا عيسى عليه السلام.

[1]. متشابه القرآن العظيم، ابن أبي داوود المنادي، ص:228-229.

إنَّ قصة سيّدنا عيسى عليه السلام مبثوثة في عدة سور من القرآن الكريم، بعد استقرائنا تلك السور وتقصي مواضع المتشابه اللفظي حددنا مجموعة منها، في حدود معرفتنا، وبالعودة إلى مظانّ هذا العلم ألفينا من المواضع ما هو مصرَّح به واضحا جليا والبعض الآخر لم نعثر عليه، وهو من المواضع التي اجتهدنا فيها بالعودة إلى كتب التفاسير، والله أعلى وأعلم.

ستكون دراستنا لهذه المواضع تبعا لاعتبارات تمثِّل أشكال ورود المتشابه اللفظي في قصة سيّدنا عيسى عليه السلام وصوره.

أولا: باعتبار الصيغة

تمثَّل هذا النوع في موضع واحد

قال الله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(آل عمران/46).

قال الله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ﴾ (المائدة/110) .

ذكر الزمخشري في الكشَّاف أنَّ «سيّدنا عيسى يكلِّم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء».[1]

فسَّر الزمخشري الآية الثانية بقوله: «أي في موضع الحال؛ لأنَّ المعنى تكلِّمهم طفلا ﴿وَكَهۡلٗاۖ﴾، إلا أنَّ في المهد فيه دليل على حد من الطفولة ومعنى قوله: ﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا﴾: تكلِّمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل، وبلوغ الأشد، والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء».[2]

الخطاب في آية آل عمران كان موجَّها للسيّدة مريم عليها السلام إبلاغا لها أنَّ الله تعالى سيرزقها مولودا بمعجزات منها كلامه وهو صغير في المهد، وكلامه للناس كهلا بالوحي، فكلامه في المهد معجزة على غير العادة إشارة للنبوءة، وكلامه في فترة الكهولة ككلام الناس

[1]. الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط3 ، 1430ه،2009م، ص:173.
[2]. المصدر نفسه، ص:315.

لكنَّه كلام نبوءة ووحي كسائر الأنبياء، أمَّا في آية المائدة فخطاب من الله تعالى لسيّدنا عيسى عليه السلام تذكيرا له بنعمه عليه، كتكليمه الناس في المهد ودعوتهم إلى الله وهو كهل.

ذكر ابن عاشور في تفسير الآية السابقة أنَّ سيّدنا عيسى «خُصَّ تكليمه بحالتين: حال كونه في المهد وحال كونه كهلا ، مع أنَّه يتكلَّم فيما بين ذلك ؛ لأنَّ لذينك الحالين مزيد اختصاص بتشريف الله إيَّاه ، فأمَّا تكليمه الناس في المهد فلأنَّه خارق عادة إرهاصا لنبوءته وأمَّا تكليمه الناس كهلا فمراد به دعوته الناس إلى الشريعة».[1]

فسَّر الآية التي وردت في سورة المائدة بقوله: «إنَّ الله ألقى الكلام من الملك على لسان سيّدنا عيسى وهو في المهد، وفي ذلك تأييد له لإثبات نزاهة تكوُّنه، وفي ذلك نعمة عليه، وعلى والدته إذ ثبتت براءتها ممَّا اتهمت به، وتكليمه كهلا أريد به الدعوة إلى الدين

فهو من التأييد بروح القدس؛ لأنَّ الذي يُلقى إلى سيّدنا عيسى ما يأمره الله بتبليغه».[2]

وافق ابن عاشور الزمخشري في توجيه الآيتين؛ كون التكليم في المهد وفي الكهولة دلالة على النبوءة، وأضاف أنَّ كلامه في المهد كان إثباتا لبراءة أمه ممَّا اتهمت به.

من خلال ما ذكر من توجيهات نجد أنَّ المتشابه اللفظي بين الآيتين لم يغيّر المعنى الأصلي، وإنَّما حافظ عليه، مع الإضافة والتوسُّع في دلالته.

ثانيا: باعتبار إبدال كلمة بكلمة

ورد ذلك في قصة سيّدنا عيسى في ثلاثة مواضع

- **الموضع الأول:**

قال الله تعالى:﴿ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ﴾ (آل عمران/47).

قال الله تعالى: ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ ﴾ (مريم/20).

[1]. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، د ت،ج03، ص:247.
[2]. المصدر نفسه،ج07، ص:101.

اتفق الكرماني (ت505ه) وابن جماعة أن مرد الاختلاف بين الآيتين هو تقدم ذكر المسيح وهو ولدها, أما في سورة مريم فقد تقدم ذكر الغلام لقوله تعالى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ (مريم/19) ووافقهما الأنصاري (ت925ه).[1]

أمَّا محمد الطاهر بن عاشور فلم يعتنِ بموضع الاختلاف تحديدا، وإنَّما فسَّر الآيتين ككل، فذكر في آية آل عمران أنَّ «قوله: ﴿قَالَتۡ رَبِّ﴾ جملة معترضة من كلامها بين كلام الملائكة والنداء للتحسُّر، وليس للخطاب؛ لأنَّ الذي كلَّمها هو الملك، وهي قد توجَّهت إلى الله والاستفهام في قولها: أنَّى يكون لي ولد للإنكار والتعجُّب».[2]

في آية مريم: «محاورتها الملكَ محاولة قصدت بها صرفه عمَّا جاء لأجله؛ لأنَّها علمت أنَّه مرسل من الله، فأرادت مراجعة ربِّها في أمر لم تطقه، ومعنى المحاورة أنَّ ذلك يجر لها ضرا عظيما؛ إذ هي مخطوبة لرجل ولم يبن بها، فكيف يتلقَّى الناس منها الإتيان بولد من غير أب معروف؟»[3]

إنَّ كلمة الولد أعمُّ من الغلام، والولد يُقصد به المولود؛ ذكرا كان أو أنثى، أمَّا الغلام فهو الذكر، وجاء هذا الاختلاف في الموضعين تبعا لسياق الآية السابق، فعندما ذكرت كلمة ولد في سورة آل عمران كان السياق الذي قبلها ﴿بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ﴾ (آل عمران/45)، والمسيح عيسى هو ولدها، وعندما ذكرت كلمة غلام في سورة مريم كان قد سبق ذلك ذكر الغلام ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ (مريم/19) .

•الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ (مريم/16).

قال عزَّ في علاه: ﴿۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢﴾ (مريم/22).

اعتزلت السيِّدة مريم عليها السلام أهلها بداية لتتفرَّغ للعبادة والطاعة، أمَّا في الآية الثانية فكان انتباذها بسبب حملها بعيسى عليه السلام.

---

[1]. ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرماني (محمود بن حمزة)، تح: عبد القادر أحمد عطا راجعه: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة – مصر، د ط، د ت، ص:89, كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة، ص: 128, فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، الأنصاري (أبو يحيى زكريا)، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت – لبنان، ط1 ، 1403ه،1983م، ص:85-86.

[2]. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج03، ص:248.

[3]. المصدر السابق، ج16، ص:81-82.

قال الزمخشري في توجيه هذا الموضع: «الانتباذ: الاعتزال والانفراد، تخلَّت للعبادة في مكان ممَّا يلي شرقي بيت المقدس، أو من دارها معتزلة عن الناس»[1]، أمَّا في الآية الثانية فيقول: «﴿ فَٱنتَبَذَتۡ﴾، أي: اعتزلت وهو في بطنها بعيدا عن أهلها وراء الجبل وقيل: أقصى الدار».[2]

ردَّ الزمخشري كلمة شرقي إلى الاتجاه الشرقي، أمَّا كلمة قصي فردَّها إلى المكان البعيد.

يقول محمد الطاهر بن عاشور: «ابتعدت عن أهلها في مكان شرقي، ونُكِّر المكان إبهاما له لعد تعلُّق الغرض بتعيين نوعه؛ إذ لا يفيد كمالا في المقصود من القصة، وأمَّا

التصدِّي لوصفه بأنَّه شرقي فللتنبيه على أصل اتِّخاذ النصارى الشرق قبلة لصلواتهم؛ إذ كان حمل مريم بعيسى في مكان من جهة مشرق الشمس».[3]

وفي قوله: «﴿قَصِيًّا﴾ بعيدا، أي بعيدا عن مكان أهلها، قيل: خرجت إلى البلاد المصرية فارَّة من قومها أن يعزِّروها، وأعانها خطيبها يوسف النجار، وأنَّها ولدت عيسى عليه السلام في الأرض المصرية».[4]

علَّل محمد الطاهر بن عاشور وصف المكان بالشرقي؛ كونه إشارة لاتِّخاذ النصارى الشرق قبلة لصلواتهم؛ بسبب حمل مريم عليها السلام من ناحية الشرق، وردَّ لفظ "قصي" للبعد .

تتَّضح بلاغة المتشابه اللفظي في هذا الموضع من حيث إنَّ كلمتي "قصي" و"شرقي" رسما اللوحة الكاملة للمعنى، فقد وصفت كلمة "شرقي" جهة المكان الذي اتَّجهت إليه السيِّدة مريم عليها السلام، بينما حدَّدت كلمة "قصي" مسافته، وهو بعده عن القوم.

- **الموضع الثالث:**

قال الله تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾ (مريم/37).

قال الله تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ٦٥﴾ (الزخرف/65).

---

[1]. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، ص:633.
[2]. المصدر نفسه، ص:634.
[3]. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج16، ص:79-80.
[4]. المصدر نفسه، ج16، ص:84.

يتجلَّى في هذا الموضع إعجاز المفردة القرآنية، فالله عزَّ وجلَّ وضع كل كلمة في مكانها المناسب، بحيث لا تحل محلَّها كلمة أخرى لتدل على ذات المعنى بدقته وتفصيله فتلاحظ في الآية الأولى ارتباط الكفر بمشهد يوم عظيم، وفي الآية الثانية ارتبط الظلم بعذاب يوم أليم، وقد تناول المفسِّرون هذا الموضع بالنقاش على رأسهم الخطيب الإسكافي **(ت420ه)** والغرناطي **(ت708ه)** كذلك, فكلتا الآيتين في قصة عيسى عليه السلام وتوعد من أثبته لله تعالى، ولذا لقوله تعالى في سورة مريم: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾ (مريم/35), وقال في سورة الزخرف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ٦٣﴾ (الزخرف/63), إلى قوله: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ٦٥﴾ (الزخرف/65), والكفر أعظم من الظلم، فلما اختلفوا في أمر عيسى عليه السلام ظلموا أنفسهم فوسموا بأكبر الذنوب وهو الكفر, ولم أجمل في سورة الزخرف ما فصله في سورة مريم وصفهم بالظلم اللازم لكفرهم, لادعائهم أبوة الله.[1]

وافقهما الكرماني في ذلك، وأضاف ابن جماعة توجيها موجزا مقارنة بسابقيه مع موافقته لهم في الرأي فقال: «إنَّ آية مريم تقدَّمها وصف الكفَّار باتِّخاذ الولد وهو كفر صريح، فناسب وصفهم بالكفر، ولم يرد مثل ذلك في الزخرف، بل قال تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾، فوصفهم بالظلم لاختلافهم».[2]

لمَّا اختلف الأحزاب في أمر عيسى عليه السلام، فمنهم من ادَّعى الألوهية، ومنهم من قال بنبوته، ومنهم من كفر به، فتوعدَّهم الله عزَّ وجلَّ بشهودهم يوما عظيما، وهو يوم القيامة من حساب وعقاب لكفرهم وما ادَّعوه.

إنَّ لفظ الكفر أبلغ من الظلم، والكفر من الكبائر، فناسب موضع الكفر هنا وصف حال الفرق المتحزِّبة وادِّعاءاتهم، ولمَّا كانت قصة عيسى مجملة في سورة الزخرف فعبَّر الله سبحانه وتعالى بلفظ أقل من الكفر، وهو الظلم، وإن كان ظلمهم أنفسَهم بالكفر، يمثِّل هذا بديع التأليف البلاغي والوصف الذي يعكس قوة التصوير، والتقريع، والوعد والوعيد.

ثالثا: باعتبار التذكير والتأنيث

كان ذلك في موضع واحد

---

[1]. ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) دار الآفاق الجديدة، بيروت – لبنان، ط4 ، 141ه،1981م، ص:289-290, ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل, الغرناطي(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن زبير الأندلسي), تح: عبد الغني محمد علي الفاسي, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان, د ط, ج ت, ج02, ص: 327.

[2]. كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة، ص:248.

قال الله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ (آل عمران/49)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾ (المائدة/110)

الملاحظ في الآيتين الاختلاف في الضمير؛ حيث ورد في الآية الأولى ضمير المذكر (فيه) ، أمَّا الثانية فمؤنث (فيها).

يقول الخطيب الإسكافي: «إنَّ الأول الذي ذُكر الضمير فيه إنَّما هو في إخبار الله عزَّ وجلَّ به عن عيسى عليه السلام، وقوله لبني إسرائيل: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، وعدد الآيات كلها عليهم منها أني آخذ من الطين ما أصوّر منه صورة على هيئة الطير في تركيبه، فأنفخ فيه...، وذا أول ما يصوَّر الطين على هيئة الطير ويكون واحدا يلزم به الحجة فالتذكير به أولى.

والتي في سورة المائدة المخصوصة بتأنيث الضمير العائد إلى ما يلحقه، هي في ذكر ما عدَّد الله من النعم على عيسى عليه السلام وما أصحبه إيَّاه من المعجزات وما أظهر على يده من الآيات... والإشارة في هذه الآية ليست إلى أول ما يُبديه إلى بني إسرائيل من ذلك محتجًّا به عليهم، وإنَّما هي إلى جميع ما أذن الله تعالى في كونه دلالة على صدقه من قلب الصور التي يصوّرها من الطين على هيئة الطير، وذلك جمع، والتأنيث به أولى».[1]

جاء توجيه الإسكافي مفصَّلا، وقد وافقه الكرماني وابن جماعة في جوابه عن التذكير والتأنيث، إلَّا أنَّ الكرماني أضاف توجيها للتخصيص في قوله: «فالجواب أن يقال: ما في هذه سورة إخبار قبل الفعل فوحَّده، وفي المائدة خطاب من الله له يوم القيامة، وقد تقدَّم من عيسى عليه السلام الفعل والطير صالح للواحد وصالح للجميع».[2]

وجَّه الزمخشري تذكير الضمير وتأنيثه بقوله: «الضمير في ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ للكاف أي: في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير، ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا﴾، فيصير طيرا كسائر الطيور حيًّا طيَّارًا».[3]

أمَّا في سورة المائدة فقد قال الزمخشري: «الضمير في ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ للكاف؛ لأنَّها صفة للهيئة التي كان يخلقها عيسى عليها السلام وينفخ فيها، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها؛ لأنَّها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء، وكذلك الضمير في ﴿فَتَكُونُ﴾».[4]

---

[1]. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، ص:65-66.
[2]. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان،ا لكرماني، ص:89-90.
[3]. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، ص:173.
[4]. المصدر السابق، ص:315.

اتَّفقت كل هذه التوجيهات على أنَّ ضمير التذكير عائد إلى الطير، بينما ضمير التأنيث عائد إلى الهيئة.

الجدير الإشارة إليه أنَّ الغرناطي استند في توجيهه لهذا الموضع على قول الزمخشري كما أنَّه أضاف توجيها آخر لعلة التذكير والتأنيث في الضمير، فرد ذلك إلى السياق السابق ذلك أنه قد ورد قبل ضمير آية آل عمران نحو من عشرين ضمير من ضمائر المذكر فجاء قوله تعالى: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ضمير مذكر ليناسب ما تقدَّمه، أمَّا آية المائدة مسبوقة بعدد أقل من الضمائر في آية آل عمران فجاء كلٌ مناسب لما سبق.[1]

بنى الغرناطي توجيهه على السياق السابق، فردَّ علة التذكير والتأنيث إلى غلبة ذكر الضمير الذي قبله.

رابعا: باعتبار التكرار وعدمه

هو من الاعتبارات التي انفردت بموضع واحد في قصة سيّدنا عيسى عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ (آل عمران/49)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾ (المائدة/110)

في الآية الأولى تكرَّر الإذن مرتين على لسان سيّدنا عيسى عليه السلام؛ لذلك قال: بإذن الله، وفي الآية الثانية تكرَّر ذكر الإذن أربع مرات نسبة إلى الله تعالى، فقال: بإذني وقد وجَّه الكرماني هذا التكرار بقوله: «قول﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾، ذكر في هذه الآية مرتين، وقال في المائدة: ﴿بِإِذۡنِيۖ﴾ أربع مرات؛ لأنَّ ما في هذه السورة كلام عيسى فما يتصوَّر أن يكون من فعل البشر أضافه إلى نفسه، وهو الخلق الذي معناه التقدير والنفخ الذي هو إخراج الريح من الفم، وما يتصوَّر إضافته إلى الله تعالى أضافه إليه، وهو قوله: ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ بما يكون في طوق البشر، وإحياء الموتى من فعل الله فأضافه إليه، وما في المائدة من كلام الله تعالى، فأضاف ذلك إلى صنعه إظهار لعجز البشر؛ ولأنَّ فعل العبد مخلوق لله تعالى، وقيل: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ يعود إلى الأفعال الثلاثة، وكذلك الثاني يعود إلى الأفعال الثلاثة الأخرى».[2]

[1]. ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل، الغرناطي،ج01، ص:84.
[2]. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرماني، ص:90-91.

ذهب الغرناطي إلى أنَّ آية آل عمران إخبار وبشارة للسيّدة مريم عليها السلام بنعمه على عيسى عليه السلام، وبما قاله عليه السلام لبني إسرائيل, أمَّا الآية الثانية مبنية على توبيخ النصارى فجاءت متضمنة نعم الله على نبيه.[1]

إنَّ الخلق على غير مثال سابق، أو من العدم فعل ينفرد به الله عزَّ وجلَّ، أمَّا فعل سيّدنا عيسى عليه السلام فمعجزة ربانية خصه الله بها، تتمثَّل في خلق الطير، لكن ليس كخلق الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ الطير موجود سابقا وسيّدنا عيسى عليه السلام خلق على شاكلته أو صورته، فالكاف في قوله: ﴿كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ للتشبيه؛ لأنَّ المسيح عليه السلام خلق بإذن الله طيرا شبيها بالطير الذي خلقه الله.

هنا تتمثَّل بلاغة المتشابه اللفظي، فنجد أنَّ الدلالة العامَّة هي ذكر نعم الله تعالى على سيّدنا عيسى عليه السلام وتعدادها، إلا أنَّ التغيير البسيط في موضع التشابه أضاف لكل آية دلالة خاصَّة على الدلالة الأولى، أو المعنى الأول، فالآية الأولى تضمَّنت معنى البشارة والإعلام، أمَّا ما جاء في سورة المائدة فتضمَّن توبيخ النصارى عن ادِّعائهم وضلالهم ببنوة سيّدنا عيسى عليه السلام وألوهيته لما ظهر منه من المعجزات.

وجه البلاغة في هذا الموضع تكرير ذكر الإذن (المضاف إلى لفظ الجلالة والمضاف إلى النبي عيسى عليه السلام) للتأكيد والإخبار، وهذا التكرار ما هو إلا لبيان أو ضرب من ضروب بلاغة القرآن وإعجازه المتمثِّل في جمال التعبير وقوتِّه، وما يتركه من أثر في النفس، مع المحافظة على مقصد الآيات.

خامسا: باعتبار الذكر والحذف

• الموضع الأول:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١ ﴾ (آل عمران/51)

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ٣٦﴾ (مريم/ 36)

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦٤ ﴾ (الزخرف/ 64)

ما السِّر وراء التوكيد بالضمير "هو" في الآية الثالثة، وخلو الآيتين؛ الأولى والثانية منه، بالرغم من أنَّها كلها فيها إخبار من الله سبحانه وتعالى عن سيّدنا عيسى عليه السلام؟

مَرَدُّ ذلك إلى كثرة ذكر الآيات المتضمِّنة في سياقها الكلام عن سيّدنا عيسى عليه السلام قبل ذلك، التي دلَّت على عبوديته لله لا ألوهيته، فلما تضافرت تلك السياقات حالت عن

[1]. ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل،الغرناطي،ج01، ص:84.

ذكر التوكيد، بخلاف ما جاء في سورة الزخرف، التي ذُكر فيها التوكيد لخلوِّ الآيات السابقة الدالة على عبودية عيسى عليه السلام منه، وقال الإسكافي في ذلك: «يحمل التوكيدين أن يريد أنَّه هو خالقي والقائم بمصالحي لا غيره من الآلهة التي ترون عبادتها، وأن يريد أنَّه هو ربي لا أبي كما زعمت النصارى، تعالى الله عن أن يكون له ولد».[1]

وافقه الكرماني في هذا إلا أن توجيهه كان مختصرا واضحا مصيبا للمعنى يسهل على أي باحث فهمه فيرى: «(هو) يُذكر في مثل هذه المواضع؛ إعلاما أنَّ المبتدأ مقصور على هذا الخبر، وهذا الخبر مقصور عليه دون غيره، والذي في آل عمران وقع بعد عشر آيات من قصتها، وليس كذلك ما في الزخرف، فإنَّه ابتداء كلام منه فحسن التأكيد بقوله:

﴿هُوَ﴾؛ ليصير المبتدأ مقصورا على الخبر المذكور في الآية، وهو إثبات الربوبية ونفي الأبوة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا».[2]

وافقهما ابن جماعة في تفسيرها إلا أنه كان أكثر دقة وإيجازا قائلا: إن عدم التوكيد بالضمير في آية آل عمران وآية مريم يعود إلى تقدم الآيات الدالة على توحيد الرب وعبودية المسيح له, ولما خلت سورة الزخرف من تلك الآيات ناسبه ذكر الضمير للتأكيد على انفراده بالربوبية.[3]

إنَّ في ذكر الضمير وحذفه قيمةً بلاغيةً كبرى، فالذكر للتفصيل والتوكيد، والموضع الذي يحتاج توكيدا ذُكر فيه الضمير لمقصد وغاية، والموضع الذي لا يحتاج حُذف منه لدلالة السياق السابق عليه، وهذا ما جسَّده هذا الموضع، مع عدم تأثُّر المعنى العامِّ لسياق الآيات، وهو إثبات عبودية سيِّدنا عيسى عليه السلام ونبوَّته، ونفيا قاطعا لمن اعتبر أنَّه ادَّعى الألوهية، وبزيادة الضمير تمَّ توكيد الغرض الدلالي من الآية.

• الموضع الثاني:

قال الله تعالى: ﴿۞فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ ﴾ (آل عمران/52)

قال الله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١ ﴾ (المائدة/111) .

[1]. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز،الخطيب الإسكافي،ج01، ص:69.
[2]. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرماني، ص:91.
[3]. ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة، ص:129.

يتَّضح الاختلاف في هاتين الآيتين في حذف النون في الأولى (أَنَّا) وإثباتها في الثانية (أَنَّنا) وتوجيه ذلك عند الإسكافي «أنَّ الذي في سورة المائدة جاء على الأصل غير مخفَّف بالحذف؛ لأنَّه جاء أول كلام الحواريين في هذا المعنى، ألا تراه خبرا عن الله تعالى أنَّه قال: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾، والذي في سورة آل عمران هو حكاية عن عيسى عليه السلام أنَّه سألهم عمَّا أقرُّوا به لله تعالى، فقال: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾، فكان ذلك منهم إقرار ثانيا لرسوله عليه السلام بمثل ما أقرُّوا به لله تعالى، والثاني يُختار فيه من التخفيف ما لا يختار في الأول؛ لأنَّ الأول قد وفَّى العابرة حقَّها، والثانية معتمدة على ما قبلها، وهي مكرَّرة»،[1] ووافقه في ذلك الكرماني،[2] والأنصاري،[3] والسيوطي **(ت911ه)**.[4]

الأولى أن يأتيَ الكلام على أصله، وهو ما جاء في سورة المائدة، كما أنَّه يجوز التخفيف، وهو ما جاء في سورة آل عمران، إلَّا أنَّه يجوز أن يُذكر الأصل في كليهما كما يجوز التخفيف فيهما، وبما أنَّ القرآن جاء على سنن العرب في كلامها؛ لأنَّها تسأم وتمل التكرار على ذات الشاكلة، وهي ميالة للتخفيف، فقد ألفينا أنَّ هناك تنوُّعا في الموضعين على غرار اختلاف المخاطب، فجاء التخفيف في آل سورة آل عمران؛ لأنَّها مكررة، وما في سورة المائدة على أصله، غير مخفَّف؛ لأنَّه أول كلام الحواريين.

ولابن جماعة في هذا الموضع توجيه يتمثل في قوله: «أن آية المائدة في خطاب الله تعالى أولا، وفي سياق تعدُّد نعمه عليهم أولا، فناسب سياقه تأكيد انقيادهم إليه أولا عند إيحائه إليهم، وآية آل عمران في خطابهم المسيح لا في سياق تعدُّد النعم فاكتفى ثانيا بأَنَّا لحصول المقصود».[5]

من توجيه ابن جماعة نجد أنَّ ورود الإثبات في آية المائدة جاء تأكيدا لانقياد الحواريين لله عزَّ وجلَّ ذلك عند إيحاء الله إليهم، وإلهامهم بوحدانيته، وهذا نعمة جليلة عليهم، أمَّا آية آل عمران فلم تكن في تعداد النعم فاكتفى بالتخفيف فيها.

ذهب الغرناطي إلى أنَّ «آية المائدة لمَّا ورد فيها التفصيل فيما يجب الإيمان به وذلك قوله: ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ فجاء على أتمِّ عبارة في المطلوب وأوفاها، ناسب ذلك ورود ﴿بِأَنَّنَا﴾ على أوفى الحالين، وهو الورود على الأصل، ولمَّا لم يقع إفصاح بهذا التفصيل في آية آل عمران حين قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ فلم يقع هنا وبرسوله

---

[1]. غرة التنزيل ودرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، ص:69-70.
[2]. يُنظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما في من الحجة والبيان، الكرماني، ص:91.
[3]. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، الأنصاري، ص:90.
[4]. يُنظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار، السيوطي، تح: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة – قطر ط1 ، 1414ه،1994م،ج01، ص:597.
[5]. كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة، ص:130.

إيجازا للعلم به وشهادة السياق، ناسب هذا الإيجاز كما ناسب الإتمام في آية المائدة الإتمام، فقيل هنا: ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾، وجاء كل على ما يجب، ولو قدر ورود العكس لما ناسب».[1]

لهذا المتشابه اللفظي بلاغةٌ وإعجازٌ؛ كون اللفظ فيه جاء تارة بذكر، وأخرى بحذف إلَّا أنَّ المعنى الأصلي بقي نفسه، وهو خضوع الحواريين وانقيادهم لله سبحانه وتعالى وإقرارهم ذلك لله عزَّ وجلَّ، ومن خلال التغيير في آية آل عمران، وهو الحذف (أَنَّا) أضاف للمعنى الأصلي معنى آخر، وهو إقرارهم إقرارًا ثانيا لسيّدنا عيسى عليه السلام مثلما أقروا لله تعالى.

سادسا: باعتبار الفصل والوصل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾ (آل عمران/51).

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦﴾ (مريم/36).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦٤﴾ (الزخرف/64) الظاهر في الآيات أنَّ آية مريم فيها وصل؛ كونها معطوفة بالواو على ما قبلها، وهذا لا نجده في آيتي آل عمران والزخرف، وقد فسَّر الغرناطي هذا التباين بقوله: «إنَّ آية مريم لما تضمَّنت مقالة سيّدنا عيسى عليه السلام وآية كلامه في المهد مخبرا عن حاله النبوية وما منحه الله من الخصائص الاصطفائية، فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾ (مريم/30)، إلى ما أعقب به هذا من الخصائص الجليلة منسوقا بعضها على بعض؛ ليبيّن تعداد تلك النعم إلى قوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ (مريم/33) ، فذكر ما حفظ الله عليه من كرامته في هذه الأحوال الثلاثة البشرية، وهي حال الولادة، وحال الموت، وحال البعث بعده، وهذه أحوال تتنزَّه الربوبية عنها، وتعالى عن تجويزها عليه سبحانه وإذا صحبتها السعادة لم تكن نقصا في البشرية؛ إذ بها امتيازها، من حيث الحيوانية الحادثة فصلها، ثمَّ لمَّا كان من تمام إخبار عيسى عليه السلام، وتعريفه بما عرفه به وتكميله ما قصد(به) إقراره لله سبحانه وتعالى بالربوبية للكل في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، وكان متصلا بما تقدَّم».[2]

إنَّ آية مريم عطفت على ما قبلها بواو النسق؛ لاحتوائها قول سيّدنا عيسى عليه السلام لمَّا كان الكلام قبل هذه الآية ــ في المهد ــ إخبارًا عن حاله، وكونه وُلد نبيا، وما ذكره من تعداد نعم الله تعالى عليه معطوفا بعضها على بعض، كما أنَّه عُطف عليها ذكر الأحوال الثلاثة البشرية؛ من ولادة، وموت، وبعث، ثم ورود تعريف سيّدنا عيسى عليه السلام، ونفي

[1]. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل، الغرناطي،ج01، ص:87-88.
[2]. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل، الغرناطي،ج01، ص: ص:85-86.

أبوَّة الله تعالى، وإثبات ربوبيته في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ لذلك جاء الكلام متصلا بما قبله.

تمايزت آراء ابن عاشور في توجيهه لهذا الموضع بين عطف الكلام السابق وبين اختلاف القراءات، إلَّا أنَّ المقصد واحد، وعليه وافق ابن عاشور الغرناطي في جواز كون هذا الكلام بقية لكلام جرى على لسان سيّدنا عيسى عليه السلام تأييدا لبراءة أمِّه، كما أنَّه أشار إلى تخريج الزمخشري قراءة فتح همزة (إنَّ) على تقدير لام التعليل [1]، فيكون تقدير الكلام: فاعبدوا اله ربي وربُّكم، ويمكن أن يكون عطفا على قول الله تعالى: ﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾، وهنا ﴿ٱلۡحَقِّ ﴾, وهنا ﴿قَوۡلَ﴾ بمعنى: قائل.[2]

للوصل في هذا الموضع بلاغة تمثَّلت في وجود واو النسق؛ لإفادتها الربط؛ لأنَّ الكلام متصل بعضُه مع بعض، ولمَّا كانت آية مريم عطفًا على ما قبلها لتضمُّنها قول سيّدنا عيسى عليه السلام ذُكر الوصل بخلاف آيتي آل عمران والزخرف، مع المحافظة على المعنى، وهو إقرار الله عزَّ وجلَّ بالألوهية وإثبات ذلك.

[1]. يُنظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري, ص:173.
[2]. ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج16، ص:104.

الخاتمة

الخاتمة:

سنة الحياة أنَّ لكل بداية نهاية، ودراستنا كذلك، فهكذا وصلت رحلة بحثنا إلى النهاية بعد قطع مسافة ليست بالهينة في هذا الموضوع، فقد توصلت دراستنا إلى:

- أنَّ المتشابه اللفظي مظهر من مظاهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وظاهرة أسلوبية مميِّزة له؛ لما لها من قوة التأثير في السامع؛ لوجود العديد من الصور التي يأتي عليها.

- المتشابه اللفظي وجه من وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم المتمثِّلة في قوة التعبير عن دقيق المعاني بجلال المباني، وما تتركه من أثر تستطيبه الأنفس وتستلذ لسماعه الآذان.

- من بين أغراض المتشابه اللفظي في قصة سيِّدنا عيسى عليه السلام ودوره هو الاهتمام، والعناية، والتأكيد بالأنبياء المخبر عنهم.

- تكمن فنية المتشابه اللفظي في دقة تصوير الشخصيات، والأمكنة، والأحداث من خلال العرض المناسب للمقام، والتناسب المحكم بين الألفاظ ومعانيها.

- إنَّ قصة سيِّدنا عيسى عليه السلام مبثوثة في عدة مواضع من القرآن الكريم، أمَّا مواضع المتشابه اللفظي فكانت في أربع سور: آل عمران، والمائدة، ومريم، والزخرف.

- احتوت قصة سيِّدنا عيسى عليه السلام على تسعة مواضع للمتشابه اللفظي تنوَّعت اعتباراتها وتفاوت عدد المواضع فيها، وكان ذلك على النحو الآتي:

- انفرد كل من اعتبار الصيغة، والتذكير والتأنيث، والتكرار وعدمه، والفصل والوصل بموضع واحد، أمَّا اعتبار الذكر فجاء فيه موضعان، بينما ورد للإبدال ثلاثة مواضع.

- لكل مقام مقال، فاختلاف التعبير عن القصة الواحدة مع المحافظة على المعنى مرده إلى مقتضى السياق الواردة فيه.

- إنَّ المتشابه اللفظي في القصة الواحدة لا يغيِّر المعنى، بل فيه زيادة أو إضافة له.

في الأخير: الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات أن أكرمنا بإتمام هذا البحث على هذه الصورة، راجين منه عزَّ وجلَّ التوفيق والسداد، ولكل من خاض غمار هذه الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر:

1. الغرناطي (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي), ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل تح: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د ط، د ت.
2. بدر الدين بن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تح: عبد الجواد خلف منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي – باكستان، ط1، 1410ه، 1990م.
3. الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر), الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط3 1430ه، 2009م.
4. الأنصاري (أبو يحيى زكريا)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط1، 1403ه، 1983م.
5. الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن)، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ومطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، د ط، د ت.
6. الخطيب الإسكافي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني), درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز، دار الآفاق الجديدة، بيروت – لبنان، ط4 1414ه، 1981م.
7. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، د ت.
8. الكرماني (محود بن حمزة), البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبد القادر أحمد عطا، راجعه: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة القاهرة – مصر، د ط، د ت.

ثانيا: المعاجم

9. الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر), أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419ه، 1988م.
10. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم), لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1424ه ، 2003م.
11. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق – سورية، والدار الشَّاميَّة، بيروت – لبنان، ط4، 1430ه، 2009م.

12.الجرجاني (علي بن محمد), التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة – مصر، د ط، د ت.

ثالثا: المراجع

13. إبراهيم محمد الجرمي، علوم القرآن، دار القلم، دمشق-سوربا، ط1، 1422ه، 2001م.
14.ابن أبي داوود المنادي (أبو الحسن أحمد بن جعفر بن محمد), متشابه القرآن العظيم، تح: عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة لينة، دمنهور – مصر، د ط، 1414ه, 1993م.
15. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله), البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة – مصر، د ط، 1276ه، 1957م.
16. السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر), الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد الرياض – المملكة العربية السعودية، د ط، 1387ه، 1967م.
17. السيوطي، قطف الأزهار في كشف الأسرار، تح: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة – قطر، ط1، 1414ه، 1994م.
18. السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1408ه، 1988م.
19. عبد الرؤوف بن المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف, تح: عبد الحميد صالح الحمدان, دار الكتب, القاهرة – مصر, ط1, 1410ه, 1990م.
20. عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه (مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف), دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط2، 1395ه، 1975م.
21. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم), تأويل مشكل القرآن، تح: السيّد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة – مصر، ط2، 1339ه، 1937م.
22. محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: سامي بن العربي الآشري، دار الفضيلة، القاهرة – مصر، ط1، 1421ه، 2000م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وعرفان.....	
مقدمة	أ
تمهيد.....	11
المبحث الأول: ماهية المتشابه اللفظي	
المطلب الأول: مفاهيم أولية	13
أولا: المتشابه اللفظي	13
ثانيا: القصص القرآني	15
المطلب الثاني: أهمية المتشابه اللفظي وفوائده	16
أولا: أهمية المتشابه اللفظي.....	16
ثانيا: فوائد المتشابه اللفظي.....	17
المطلب الثالث: أسباب نزول المتشابه اللفظي والحكمة من ذلك.....	18
أولا: أسباب نزول المتشابه اللفظي.....	18
ثانيا: الحكمة من المتشابه اللفظي ذلك	19
المبحث الثاني: دلالة المتشابه اللفظي في قصة سيدنا عيسى في القرآن الكريم.	
المطلب الأول: المتشابه اللفظي في القصص القرآني	21
أولا: قوة التعبير	21
ثانيا: العناية والتأكيد	21
ثالثا: دقة التصوير	22
المطلب الثاني: المتشابه اللفظي بلاغة ودلالة في قصة سيّدنا عيسى عليه السلام.....	22
أولا: باعتبار الصيغة	23
ثانيا: باعتبار إبدال كلمة بكلمة	25
ثالثا: باعتبار التذكير والتأنيث	29
رابعا: باعتبار التكرار وعدمه	31
خامسا: باعتبار الذكر والحذف	33
سادسا: باعتبار الفصل والوصل	37
الخاتمة	40
قائمة المصادر والمراجع.....	43
فهرس الموضوعات.....	47

ملخص:

للقرآن الكريم عدة ظواهر أسلوبية مميزة، من بينها المتشابه اللفظي في القصص القرآني الذي تمحورت دراستنا حوله، من خلال الكشف عن مختلف دلالاته في قصة سيدنا عيسى عليه السلام. بالإضافة إلى محاولة تقصي أسباب تغاير الألفاظ والتراكيب ،وما ينتج عنها من دلالات وما تحدثه من أثر، فحاولنا الوقوف على المتشابه اللفظي في القصة، وتتبع مواضعه ودراستها بالاستعانة بآراء العلماء والمفسرين، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي الاستقرائي.

الكلمات المفتاحية: المتشابه، المتشابه اللفظي، القصص القرآني.

Résumé:

Le Saint coran concienc beaucoup de phénomènes stylistiques spécifiques, Entre autres les ressemblances verbaux dans les historiés coraniques sur lesquelles nous avons focalisé notre étude .Nous avons montré ses différentes significations dans l histoire de "Aissa" paix sur lui. Nous avons essayé également de connaître les causes de la distinction entre les différentes constructions linguistiques et ses effets sur les sens qu'elles véhiculent, s. ainsi nous avons tenté de mettre l accent sur les ressemblances verbaux dans l histoire, de connaitre leurs endroits et de les analyser en nous appuyant sur les travaux des scientifiques et des interprètes, cette travail s,est appuyé sur La méthode descriptive inductive.

Les mots clés : les Ressemblances, les Ressemblances verbaux, les historiés coraniques.

Summary:

The holy Quran has several distinct styles**,** including the verbal similarity of the qoranic stories which our study revolved by revealing the different connotations in the story of the prophet JESUS; as well as by trying to explore the reasons for the heteronormalization and the resulting connotations and their effect. We tried to see the verbal similarity of the story and to track and study it using the opinions of scientists and expletives, relying on an extrapolating descriptive approach.

The Kay words: The similarity, the verbal similarity, the qoranic stories.